علمانية كعقول الفرنسيين على تفهم المذاهب الاسلامية وتحليل هاته المذاهب ومقابلتها ومن جهة اخرى فمن المتعين أن تكون للطلبة الفرنسيين معرفة أحسن وأصح بالعربية العتيقة وباللغة الدارجة اذا اردوا الاشتغال فنيا وتطبيقياً بالعربية العصرية التي هي اللغة التعليمية الوحيدة المستعملة عند العرب للاعراب عن أفكارهم مشافهة وكتابة .

وبعد فتجارب مصر في نظام التعليم جديرة بالتأمل ، ولا يمكن بالاحرى أن يجهلها الذين يدفعهم حب الاستطلاع أو يدفعهم وظيفهم الى الاهتمام بالتعليم العربي أو تنظيم المدارس الفرنسية الاسلامية وسنبين في سلسة جداول خاصة تتعلق بالنظم المدرسية من توزيع مواد القراءة وتفصيل برامجها وغير ذلك من المسائل الفنية جملة من الاعتبارات والدروس التي نرى الاقتداء بها من الضروريات ، ونكتفي اليوم بإلفات النظر الى ثلاث نقط هامة هي خلاصة هذا المقال : (١) فالتعليم العصري لم يمكن في الابتداء إلا بفضل مساعدة جامعة الازهر العتيقة فهي التي أوجدت — رغم الانتقادات المتراكمة ضد اساليبها ومناهجها — أساتذة العربية الاولين وهي التي كونت جل المصريين الذين كان لهم أكبر تاثير في حياة مصر الاجتماعية والفكرية ، وفي الاخير هي الان ـ بعد الاصلاح الذي ادخل عليها ـ من أهم العناصر المكونة لشهرة مصر ونفوذها في البلاد الاسلامية الناطقة بالضاد ، (٢) وقد أصبحت العربية نهائيا لغة التعليم والثقافة كما أصبحت البرامج تدريجياً عربية أيضاً وابتدأ ذلك بالتعليم الابتدائي فصار عربياً تماماً ثم تبع التعليم الثانوي ولم يتمكن التعليم العالي من التخلص نهائيا من بعض اللغات الاروبية التي لا يزال يحتاج اليها مدة ، (٣) واعتنت مصر بالتعليم الديني في المدارس الاولية والابتدائية ولم تهمله في المدارس الثانوية وإن كان حظه يظهر ضئيلا بهاته المدارس الاخيرة في نظر كثير من المسلمين وهكذا تبدي التجارب أن الديانة الاسلامية — التي هي بعيدة كل البعد عما تصور به احياناً من أنها شبح مخيف للعداء المستمر والثورة المتأصلة — قوة معنوية يمكن التعاون معها في العمل لما فيها من عناصر للتربية الشخصية والنظام الاجتماعي وللولاء السياسي المبني على الاختيار والتعليل .

هنري لاوست

« لذعات بريئة ... » (٤)

شعراء الشباب

لعل قراء المجلة وقد وقع نظرهم على هذا العنوان يستغربون سرعة تحولي من الحديث عن شعرائنا الكبار الى شعراء الشباب ، وحديث الشيوخ لم ينته ، ونقد شعرهم لم يتم بعد ، ومن القراء من يلح ويفرض علينا العود لشعر القباج ، لأن شعره الكثير المليء بالحوادث والنوادر ، لا تكفيه اشارة ، ولا تحيط به المامة ، ويحتاج الى تعمق في البحث كبير ، وأكثرهم لا يزال ينتظر عملية جراحية في دماغ شاعرية الباقين الذين يعتبرون في نظر الجمهور فطاحل الادب وفحول الشعر في المغرب ، وهذا حق لا مندوحة عن أدائه ، وعهد مقطوع سوف نفي به متى انتهينا من حديث الشباب الذي أخذنا فيه ابتداء من هذا العدد ، واذا كنا قد تعجلنا شعراء الشباب وانتقلنا للحديث عنهم بسرعة فانما نفعل ذلك بدافع اضطراري ، وبعامل رغبة حارة لرفع التباس من يتوهم أننا نقصد جماعة دون اخرى ويتهموننا بالاقتصار على طائفة الشيوخ .

حقاً ان حديث الشيوخ حديث طويل الذيل مديد السيل قد تنقضي شهور وتمر اعوام دون أن نحيط بهذا الجيش العرمرم من الشعراء الكبار الذين يزخر بهم المغرب ويزدهي بهم القريض ! ! ومن خير الادب ونحن نرقب عن كثب ؛ فئة جديدة من الشباب ، تتطلع لتبوء مقاعد الاداب الرفيعة ، أن ندع الشيوخ الى حين ونلتفت الى شعراء الجيل اذ هم أحق بالعناية وأجدر بالاهتمام ، وهم

خلف من قبلهم في الحياة والنشء المقدر فوائد النقد والمتتبع حركات الانتاج في المشرق والمغرب، وربما لم يسيئوا الظن بالنقد بقدر ما ازعج منه شيوخنا الذين اشتد بهم الغيظ والحنق وكم سبوا وكم ثلبوا والبوا ما شاءوا من الاشياع والانصار للرد علينا بالحق والباطل، وسيبقى سخطهم مستمراً وحنقهم ممتداً ونحن في طريقتنا نسير لا نهاب الرد ولا نهتم بسب الى أن يريحنا الله من هذا الشعر المبتذل والنظم المرذول، ولا نكتم الحق فانتقادنا على الشيوخ لم يغيرهم عن مجراهم ولم يحولهم عن اتجاهاتهم المعهودة وهذا السيد الشنجيطي يعلن في رده أنه لا يتحول عن التقليد ودون تحويله خرط القتاد، كأن الله جعل له عينيه خلف رأسه ولسانه في قفاه، لا ينظر الا من وراء، ولا ينطق الا بكل قديم مهجور، وقد توهم من مقالنا اننا ننكر وجود النسيب في الشعر القديم ووجد الفرصة مناسبة لاخراج فتوى بأن النسيب مباح بل مستحب لانه سنة النبي عليه السلام وعلى منهاجه تمشت اقدام السلف وأبى الله الا أن يكون الطالب النحوي، أما قاضياً أو مفتياً، واما أن يكون أديباً كالجرجاني وأمثاله فهيهات أن يبلغ شأوهم ويدرك خصائصهم ولو دام في ركبهم يسير بالليل والنهار، ثم فتح امامه خزانة الادب لابي حجة، ومعاهد التنصيص فاستخرج ما أمكن له من (حسن التخلص والاقتضاب) وأتم على ذلك بالنقل من الدواوين التي عن يمينه وشماله ليشغل حيزاً كبيراً من المجلة وظن أن تلك الاشعار وتلك الكتب لا يعرفها الشباب وأن عمرهم فيها شب عن الطوق كما لوح الى ذلك في صدر مقاله، والحال أننا لم ننكر كل هذا ونعرفه جيداً وانما أنكرنا علاقة النسيب بمدح صاحب الجلالة في هذا المعصر، وسبق أن قلنا ان المتقدمين اذا ابتدأوا المدح بالنسيب فلهم العذر الجلي لانهم كانوا يفارقون الاهل والاحباب ويتحملون مشاق كثيرة للوصول الى الممدوح ليجزل لهم الصلة والعطاء، فاذا توجعوا وتغزلوا وحنوا فتلك عاطفة صادقة انطقتهم لا تحتمل الكذب ولا المبالغة، وأما اليوم فأي لوعة واي اشجان؟ وأي داع للزفير يرسل في مطالع قصائد المديح، فهل سوى سد الفراغ؟

على أن هذا الشنجيطي الشاعر المبدع وصاحب العلم الغزير والثقافة العالية كما تصفه ادارة المغرب عن سخاء نسب لابن المبارك ابياتاً من قصيدة معروفة لابن ابي ربيعة، ولعل في هذه النسبة ما يدل على اطلاعه الغزير، ويستحق عليه كل اعظام واكبار!!

أما (أحلّ) فقد كبر عليه ان اخطئه فيها، وأراد ان يخرج من خطئه موفور الكرامة فاستنجد بالاجرومية ولا يعدم المكابر شقة تنجيه حتى لايفتضح امره والعصمة لله وحده، على ان (احل) يصلح ان يفهم كما زعم واراد، ولكن الذوق السليم الذي يحرمه الجامدون بإباه كل الاباء، ونحن نسأله اذا سلمناه مبنياً وأراد ان نجاريه في نحو باته لم حذف فاعله؟ ولم بناه للمجهول؟ وما هي النكتة لأن النكت جمعها من قال:

وحذفه للخوف والابهام ✲ والوزن والتحقير والاعظام
والعلم والجهل والاختصار ✲ والسجع والوفاق والايثار

قد يقول الوزن، وقد يقول العلم، وقد يقول غير ذلك، لان المعاند لا يعدم حيلة ولكن الصناعة مع هذا لا تزال تشمئز من ذلك، ولو انصف واعترف بالحق لوضع ألمّ بدل أحلّ وترك الالتجاء الى هذا الالتواء والبناء المنهار واراحنا من الرد عليه [والشعر يقتضي ان يكون عفواً وسلساً منسجما لا تقعر فيه ولا اقحام، والخلاصة أن السيد محمد الشنجيطي يجهل المقصود بالنقد ودلنا أنه يضيق صدره منه، وكل المراد ـ كما تقتضيه سنة التطور ـ ان يقول الشاعر ما يوافق عصره، لا ما يوافق العصور الدابرة وهذا معترف به في جميع العصور الغابرة، من عصر الامويين الى الآن، ولكل عصر طابع خاص ولون يتميز به، فشعر الامويين غير شعر الجاهليين، وما صدر عن العباسيين والاندلسيين، يخالف سنة من سبقهم وما يقوله اصحاب القرن السادس والسابع والثامن الذين اولعوا بالتورية والرقة والانسجام — وان ادى الى ما أدى اليه — غير ما يقوله غيرهم، ونكرر له أن المسألة ذوقية — وان كره هذا اللفظ — وليست بنقلية ولا عقلية، وسيأتي عصر ينكر فيه اصحابه ما نحن عليه الآن تبعاً للظروف ومقتضيات التنقل، وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) قضية التجدد في الادب وعرّفنا بمعركة بين القديم والجديد كانت موجودة في ذلك الحين، وقال ابن شرف القيرواني في اعلام الكلام:

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ✲ ويرى للاوائل التقديما
ان ذاك القديم كان جديداً ✲ وسيغدو هذا الجديد قديما

ثم أورد هذين البيتين:

أغري الناس بامتداح القديم ✲ وبذم الجديد غير ذميم
ليس الا لأنهم حسدوا الحـ ✲ ـيّ ورقوا على العظام الرميم

الى غير هذا مما لا نرى حاجة الآن لنقله ما دامت الحاجة لم تدع اليه فليعرف هذا شاعرنا ولا يضق صدره حرجاً من النقد، ولقد عجبنا منه ينال من الشباب المثقف ويرميه بالجهل، وفضله لا ينكر في حركة الادب والانتاج، ثم توجه الينا يقول: يظهر أن الناقد ممن لم يأخذوا العلم عن الشيوخ فهو يلتقط ما يجده في الكتب والصحائف الخ ونحن لا نريد ان نذكر له ترجمة انسان متواضع يعرض عن الشهرة ويأبى أن يكون من عشاق الالقاب والامضاءات تحت كل سطر يكتبه، ولعل كلام شاعرنا اشد انطباقاً عليه فمن منا يلتجئ للكتب وينبري للدواوين يستعين بها ويسلخها سلخاً، ورده عند القارئ اكبر شاهد، أما الصحائف ففضلها على شاعرنا كبير، وجريدة «السعادة» بالباب، فهي التي اظهرته للوجود وسنعود لشعره بحول الله في فرصة اخرى وننقد رثاءه لشوقي ونكشف الغطاء عن بقية الابيات التي دلنا عليها في تاريخ مكناس مع شدة احترامنا للمؤرخ الشهير النقيب الزياني، وحينذاك يرحمه الله برحمته.

اما ابن تاشفين فبودي أن لا اوله بوخز، وهو ما يزال تلميذاً يأخذ العلم، وعجيب امر هذا الناشىء الصغير يأبى في أول مقاله ان يعترف بهرم شعر القباج فلم يلبث الا قليلا حتى هدم كل ما بناه، وأورد لنا شهادة الشاعر على نفسه واعترافه امام جمع من ادباء مراكش ان شعره اليوم غيره بالامس الخ وهذه لطمة تناولها بيده، وادرك بها القراء كيف يكون التناقض الذي ينسبه الينا لو كان يفقه ويدري، أما شعر ذي الاصبع العدواني فان استدلاله عليه لا له، واذا تأملناه نجده شعر وصية من ادركه الهرم واشرف على القبر، يوصي اولاده ويودع الحياة بما جمعت من آمال واحلام وقوة النشاط والتهاب القريحة لا يكون طبعاً الا في طور الشباب فهل يريد ان ينازع في هذا ايضاً، وهذه نظرية لم ناخذها من شعر الاخطل الصغير بشارة الخوري بل معروفة بالبداهة، والشعر القديم والحديث يزخر بالبكاء على الشباب والتحسر على انقضاء عهده وذبول زهره الباسم فاقرأ يا (ابن تاشفين) هاته الابيات من قصيدة أبي الطيب لعلها تهذب من تفكيرك وتزيد في معلوماتك يقول:

واذا الشيخ قال اف فما مـــــل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب ☆ فاذا وليا عن المرء ولى

ونمسك الآن عن الاطالة في هذا الباب وندعو الله للكاتب بالفتح انه هو الفتاح العليم ولقد حان التخلص للشباب، فلنبدأ بشاعره على بركة الله.

«يتبع» (ابن عباد)

حول رد «ابن تاشفين»

قرأنا في العدد الأخير من «مجلة المغرب» الغراء مقالا لأديب مراكشي رمز لاسمه بـ(ابن تاشفين) وهو برد على (ابن عباد) ويستنكر الخطة التي يتبعها في نقد شعرائنا، وقد بدت لنا ملاحظات على هذا المقال، رأينا ان نعرضها على قراء «مجلة المغرب» المحبوبة، أبتدأ الكاتب بايراد هذين البيتين:

ما الشعر الا شعوري جئت اعرضه
فانقده نقداً شريفاً غير ذي دخل

وأحسن النقد ما يرضى الجميع به
وأسوأ النقد ما يفضي الى الجدل

ونحن بكل تواضع، تفهم الاديب المراكشي، اننا لا نوافق الشاعر على ما يذهب اليه في البيت الثاني من ان اسوأ النقد ما يفضي الى الجدل، اذ كيف يمكن ان تتزى ملكاتنا وتنضج افكارنا وتسمو مداركنا اذا لم يجادل بعضنا البعض بالتي هي أحسن واذا لم يشحذ ذهننا باحتكاكه مع ما يخالف نظرنا ورأينا، والعجيب ان الكاتب يورد هذين البيتين وكأنهما حجة دامغة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ويجب على كل من يسمعها ان يؤمن بصدق ادعائها ولو أن الكاتب لم يكتف بهذين البيتين بل أبان لنا عن مضار الجدل متبعاً القول الحجة لكان احسن صنعا، ولكنه يسترسل في كتابته وبعد مقدمة ـ لا أدري كيف أصفها ـ يشرح فيها معنى النقد، يأتي الى بيت القصيد فيتهم (ابن عباد) بتناقض أقواله وبانه لا يصرّح بشيء الا ناقضه بعد سطور ويريد ان يبرهن على ذلك فيقول: «يقول (أي ابن عباد) تحت عنوان (شاعرنا المطبوع): اذ هو كما يقولون شاعر المغرب وبلبله الصداح، والشاعر المطبوع الذي لا يوجد له قرين في النظم والارتجال، تلك هي الالقاب التي يتمتع بها شاعرنا اليوم وقبل اليوم.» ويقول فيها بعد: «وفي الحق ان الشاعر القباج له آيات في الشعر سابقة» فهل هذا الا ما يسمى في نظر كل عقل سليم بالتناقض؟»

ونحن نتبرع عليه بالاجابة فنقول: ليس هذا من التناقض في شيء ايها الكاتب، فابن عباد ينتقد في الفقرة الاولى اعطاء الشاعر